Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

اللغة ومكانة المرأة في المجتمع دراسة في ضوء نظرية التهذيب لروبن لاكوف

ا.د. خالد توفيق مزعل [1]
العراق/ جامعة الكوفة/ كلية الآداب

khalid.alhasnawi@uokufa.edu.iq

الملخص. تتجلى مكانة المرأة في المجتمع عن طريق دوال الخطاب المميزة للغة المرأة في خطابها عما هي عليه في خطاب الرجل. فضلا عن دوال الخطاب المستعملة في الحديث عن المرأة من لدن الرجال. وفي خضم ذلك يُوظف المسار الذي اعتمدته لاكوف في سعيها نحو نظرية للتهذيب في الخطاب. ومن ذلك مظاهر التهذيب اللغوي في حديث النساء. المفارقات الساخرة عند الحديث عن النساء. موقع خطاب المرأة في التهذيب عند لاكوف.

الكلمات المفتاحية. التهذيب، الخطاب، المفارقة الساخرة، الهيمنة الذكورية.

Abstract. The position of women in society is manifested by the Signifiers of discourse for the language of women in their discourse than they are in man's discourse. In addition, the discourse used to talk about women by men is described. In the midst of this, the approach adopted by Lakoff in her quest for a theory of politeness found in discourse. Manifestations of linguistic politeness in women's speech. Ironic paradoxes when talking about women. The position of a woman's speech in Lakoff's politeness.

Keywords. politeness, discourse, ironic paradoxes, hegemonic masculinity.

المقدمة

على الرغم من تنامي الحركات النسوية في العالم، واتساع نطاق الدراسات الداعية الى تحسين واقع المرأة في المجتمع، فما تزال الممارسات العنصرية والتحيز الجنسي ضد المرأة سلوكاً ظاهراً في كثير من المجتمعات ولاسيما في العالم العربي حيث تخشى كثير من النساء التعبير عن آرائهن بحرية في ظل الهيمنة الذكورية على إدارة أغلب مرافق الحياة.

ولعل ما وقفت عليه لاكوف من استعمالات لغوية دالة على الممارسات العنصرية والتحيز الجنسي في الخطاب ضد المرأة مازالت تتجلى في سلوكنا اللغوي على الرغم من مرور ما يقارب النصف قرن على ظهور آرائها في هذا الباب. إذ تأتي هذه الدراسة للوقوف على الآراء التي أوردتها لاكوف في كتابها الموسوم *language and woman's place* الذي صدر عام 1975م في أمريكا. وهو العمل الرائد الذي خلصت فيه الى ربط نظريتها في التهذيب التخاطبي بواقع المرأة في المجتمع؛ لذا باتت آراؤها محط أنظار الباحثين في الدرس التداولي ولاسيما براون وليفنسون.

في هذا الكتاب سعت لاكوف الى الوقوف على مزايا فارقة بين أساليب الرجال وأساليب النساء عن طريق العينات اللغوية التي جمعتها؛ سعيا الى ملاحظة اختلاف الخطاب على صعيد استعمال المفردات والتراكيب، مستندة في دراستها الى منهج اللسانيات الاجتماعية.

من هنا حظيت أفكارها عن مكانة المرأة في المجتمع بعناية الباحثين في مجال اللسانيات عموماً ولاسيما في اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات التداولية، واللسانيات النفسية، وتحليل الخطاب، وغيرها؛ ذلك بأنها سلطت الضوء على زاوية في غاية الأهمية تمثلت بالسلوك اللغوي الذي تتجلى فيه مزايا التفرد بين الجنسين الذكور والإناث.

اعتمدت لاكوف طريقة في دراستها بأن قسمت كتابها على جزأين، خصصت الجزء الأول منهما الى دراسة العينات اللغوية التي في حوزتها، واقتضى ذلك تقسيمها على قسمين: الأول سعت فيه الى بيان السبل التي تُنَشَّأ على وفقها الفتيات الصغيرات في بيوتهن للتحدث كسيدات، ومن ثم بيان الأثر الذي يخلفه ذلك في نفوسهن، وهو أمر من شأنه أن يترك أثراً واضحاً في جانب التهذيب الذي يتجلى في حديثهن. وهي في ذلك تعتمد المقارنة بين التنشئة التي يتلقاها الذكور والإناث في مراحلهم العمرية الأولى وأثر ذلك في حديثهم، ومن ثم أثره في مكانة كل منهما في المجتمع فيما بعد. أما القسم الثاني من العينات اللغوية فقد عمدت فيه لاكوف الى بيان الطريقة التي يتحدث فيها الناس عن النساء ولاسيما الذكور منهم؛ من أجل بيان طريقة تفكير المجتمع تجاه المرأة.

ثم خصصت لاكوف الجزء الآخر من كتابها للوقوف على النتائج المتمخضة عن مناقشة النماذج اللغوية التي أوردتها في الجزء الأول من كتابها؛ إذ أفردت هذا الجزء الى مسألة التهذيب؛ فجاء ذلك في قسمين أيضا، أحدهما لبيان أنواع التهذيب التي يمارسها الناس في سياقات مختلفة، والآخر لبيان علاقة النساء بالتهذيب.

أما المنهج الذي سأعتمده في دراستي هذه فهو منهج وصفي يسعى الى بيان السبل التي اعتمدتها لاكوف في دراستها وصولاً الى نظريتها في التهذيب، فضلا عن الوقوف على الأسباب والعلل التي التمستها لتفسير الممارسات العنصرية والتحيز الجنسي ضد المرأة في المجتمع.

وفي الختام أسأل الله تعالى التوفيق والسداد لما فيه فائدة الجميع. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1 . أولا: مشكلة الهيمنة الذكورية على المجتمع

تتخذ الهيمنة الذكورية في المجتمعات أضرباً مختلفة من السلوك، قد تتخذ من بعض شعارات الحرية والديمقراطية سبيلا الى التخفي، ولاسيما في بعض البلدان التي تدَّعي حرية المرأة وانصافها ومساواتها بالرجل. في حين أنها تبدو أمراً طبيعيا له مسوغاته في نظر كثير من الناس، ولاسيما أولئك الذين يتخذون الاختلاف البايولوجي بين الجنسين سبيلا الى ضرورة وجود الاختلاف في مستويات الذكاء والتفكير بينهما، ومن ثم اتخاذ ذلك سبيلا الى القول بتفوق الذكور على الإناث في إدارة أغلب جوانب الحياة في المجتمع. وفي خضم هذا التوجه يرى عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو أن الهيمنة الذكورية مازالت تمارس في المجتمعات تحت غطاء ما اصطلح عليه بـ(العنف الرمزي). فهو عنف ناعم غير مرئي ولا محسوس من ضحاياه أنفسهم؛ ذلك بأنه يمارس بالطرق الرمزية الصرفة للاتصال والمعرفة، مستغلا الجهل والعاطفة (بورديو، 2009: 8-9، 67، 72).

ولو سألنا أنفسنا، ما السبب وراء هيمنة الذكور غالبا على المجتمع الانساني؟

نجد أن لاكوف تحاول أن تجيب عن ذلك من منظور لغوي مستندة الى الفروق بين اللغة التي يستعملها الرجال ولغة النساء التي يستعملنها. بيد أنَّ المثير للاهتمام أن نلحظ أن لغة الرجال تُستعمل بصورة متزايدة من لدن النساء على صعيد المفردات والجمل (برهومة، 2002: 42؛ ترادجل، 2017: 83)، لكن لغة النساء لا يتم تبنيها من الرجال، باستثناء أولئك الذين يرفضون الصورة الذكورية في المجتمع، ولاسيما المثليون جنسياً (Lakoff, 1975: 10). وقد يكون السبب وراء ذلك- بحسب لاكوف- هو أن النساء يبحثن عن وظائف يهيمن عليها الرجال، لكن قلة من الرجال يسارعون إلى أن يصبحوا ربات بيوت أو سكرتيرات (عمر، 1996: 35). من هنا يتضح لنا أنَّ لغة المجموعة المهيمنة، المجموعة التي تمارس السلطة، إلى جانب سلوكها غير اللغوي، يتم تبنيها بشكل عام من لدن المجموعة الأخرى، وليس الأمر خلاف ذلك. فلغة الرجل هي لغة المجموعة التي تمتلك السلطة في المجتمع (Lakoff, 1975: 10)؛ لذا تمارسها النساء.

ولما كان الرجال هم من يولِّد الصور النمطية في أغلب المجتمعات (الغذامي، 1997: 16). والصورة النمطية هي نتاج التفكير النمطي، وهذا الأخير هو التفكير الذي يتبعه الشخص أو الأشخاص اعتمادا على الأفكار الجاهزة التي يمكن إرجاعها إلى عادات وتقاليد وموروثات ثقافية ودينية (شقرة، 2015: 12). وهذا الأمر يجعل من الصورة النمطية أساساً في صياغة حكم يبنى على فكرة سابقة لإشاعة فكرة ما عن فئة معينة، فيقوم المدعي بإلباسها صفة العمومية أو تقديم فكرة سابقة تلقي صفات معينة على كل الأفراد أو على طبقة أو مجموعة في المجتمع (خليفة، 2006: 7).

والمجموعات عادة لا تخترع الصور النمطية عن أنفسهم، ولكن عن المجموعات الأخر. ومن ثم إنَّ المجموعة المهيمنة في المجتمع هي التي تنشئ الصور النمطية للمجموعات الأخر مثل مجموعة النساء، وتقرر أي المجموعات على أساس هذه الصور النمطية جيدة أو سيئة. بيد أنَّ وظيفة الأشخاص الذين يجدون أنفسهم أعضاء في مجموعات غير سائدة؛ كونهم مقولبين نمطياً، فليس بالضرورة أن يقرروا أنه لا توجد حقيقة تكمن وراء الصورة النمطية، فيقرروا أنَّ الصورة النمطية سيئة ويجب تدميرها على الرغم من أن هذا قد يكون صحيحًا في بعض الأحيان. ولكن قد يكون من المفيد أيضًا الافتراض أنَّ هناك بعض الحقيقة وراء الصورة النمطية، وما تمثله هو سمة جيدة وليست سيئة افترضتها المجموعة المهيمنة. بيد أن الصورة النمطية الناتجة عن الهيمنة الذكورية تجاه النساء تبقى ذات طابع سيء في الغالب.

2 .ثانيا: كيف تتحدث النساء؟ (المرأة بوصفها سيدة في ضوء مشكلة التنشئة)

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

في أثناء مرحلة الطفولة، تُشجَّع الفتيات على أن يصبحن "سيدات صغيرات". والسيدات الصغيرات– في منظور المربي– لا يصرخن بصوت عالٍ كالأولاد الصغار؛ إذ يقوم المربي–سواء أكان من أهلهن أم من سواهم– بتوبيخهن بشدة بسبب اظهار نوبات الغضب أو إظهار جانب من الامتعاض نحو الأشياء من حولهن. أما الروح المعنوية العالية فيسعى المربي الى غرسها عند الذكور الصغار؛ لذا تجد (الانقياد والاستسلام) هما الصفات المقابلة المتوقعة من الفتيات الصغيرات. نشأ عن هذا المنحى تنشئة الأطفال غالباً على فكرة مفادها أنَّ الرجل من حقه أن يظهر مشاعر الغضب بإزاء أمر ما في خطابه، في حين لا تُعذَر المرأة إذا ما أظهرت ذلك في خطابها. والنتيجة هي أنه حتى لو سُمح للمرأة بإظهار التذمر والشكوى والغضب، فإنها لا تخشى عواقبها؛ في حين إنَّ الرجل وحده هو الذي تُخشى عواقبه في حال الغضب. ولعلَّ ذلك أمر واضح في النظام الأسري الذي تمارس فيه مثل هذه السلوكات.

يُزعم أحيانًا أن هناك أساسًا بيولوجيًا لهذا الاختلاف في السلوك (عمر، 1996: 149)، بيد أن لاكوف لا ترى أنَّ هناك دليلًا قاطعًا على ذلك. أما الأمر المؤكد في رأيها فهو أنَّ هذا الاختلاف السلوكي بين الرجال والنساء هو سمة مكتسبة اجتماعيا (Lakoff, 1975: 10)؛ ذلك بأن السماح للرجال منذ النشأة الأولى باستعمال وسائل تعبير أقوى من المتاحة للنساء يعزز مكانة الرجال على صعيد القوة في العالم الواقعي؛ لأننا بالتأكيد نصغي باهتمام أكبر كلما عبّر شخص ما عن آرائه بقوة، أما المتحدث غير القادر– لأي سبب من الأسباب– على أن يكون قوياً فمن غير المرجح أن يُؤخَذ على محمل الجد حينما يبدي آراءه، وهذه هي حال النساء (برهومة، 2002: 44).

وصفوة القول إنَّ تحليل اللغة يشير على وجه التحديد إلى منطقة يوجد فيها عدم المساواة. فالرجل من الممكن أن يفصح عن مشاعره بوضوح تجاه شخص ما أو شيء معين، وهذا الفعل يحمل الآخرين على رؤيته بوصفه فردا مستقلا في آرائه، في حين لا يتاح ذلك للمرأة في المجتمع؛ والسبب في ذلك هو أن السلوك الذي تتعلمه المرأة على أنه "صحيح" يمنعها من أن تؤخذ على محمل الجد كفرد مستقل في آرائه، ويُعد ذلك صحيحًا وضروريًا للمرأة على وجه التحديد؛ لأن المجتمع لا ينظر إلى آرائها بجدية غالباً، بل يُمارس عليها التهميش والاقصاء.

على صعيد علم نفس السلوك وجد علماء النفس الذين يدرسون سلوك الأطفال في الحضانة أن الأولاد الصغار يميلون بالفعل إلى التحدث عن الأشياء الخارجية، مثل بناء المرآب، وأنواع السيارات، وخوض المعارك، وما إلى ذلك. بينما تكون الفتيات الصغيرات أكثر استعدادًا للتحدث عن أنفسهن، وعن مشاعر الآخرين تجاههن ولاسيما الأهل، وعن أنماط التنشئة الاجتماعية الخاصة بهن، مثل: من هو أفضل الأصدقاء لهن، وما إلى ذلك (Lakoff, 1975: 75؛ عمر، 1996: 147–148). وبناء على ذلك خلص الباحثون في هذا المجال الى أن الفتيات الصغيرات "أكثر تهذيبا" في الكلام من الفتيان في العمر نفسه؛ لذلك تفترض لاكوف أن هذين الأسلوبين من السلوك اللغوي يتم تعلمهما معًا منذ الصغر (Lakoff, 1975: 75). ويؤكد هذا المنحى في الاختلاف اللغوي عالم اللسانيات الاجتماعية ترادجل في حديثه عن اللغة وجنس الناطق؛ إذ يقول ((إننا نعلم من خلال البحث اللساني أنَّ لغة الرجال تختلف عن لغة النساء في كثير من المجتمعات، والاختلافات في بعض الحالات بسيطة الى حد كبير ولا تُدرَك عموما، وهي اختلافات قد يعدها الناس حتمية كالحركات أو تعبيرات الوجه المختلفة. وفي حالات أخرى قد تكون الاختلافات كبيرة جدا وبشكل صريح، بل وربما تلقن للأطفال الصغار بشكل جدي)) (ترادجل، 2017: 75–76).

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

ولكي تبرهن لاكوف على صحة افتراضاتها السابقة طفقت ترصد فروقاً على صعيد الاستعمال اللغوي تميز الاناث عن الذكور، ومنها استعمال المفردات والتراكيب، ومن التراكيب الأسئلة التذييلية (Lakoff, 1975: 15–16)؛ إذ يغلب في لغة النساء استعمال هذا الضرب من الأسئلة، نحو قولها: الجو حار، أليس كذلك؟ هذا الطعام لذيذ، ألا تعتقد ذلك؟

تستدرك لاكوف على ملحظها هذا بقولها إنه على الرغم من عدم وجود دليل إحصائي دقيق على أن هذا النوع من الأسئلة أكثر ملاءمة لاستعماله من لدن النساء أكثر مما هو عليه عند الرجال. لكن إذا كان هذا الافتراض صحيحًا بالفعل، فما العلة وراء صوابه؟

تجيب لاكوف عن هذا التساؤل بأنَّ أنواع التركيب هذه على صعيد صياغة السؤال قد تعد وسيلة يمكن للمتحدث عن طريقها تجنب إلزام نفسه بالأمر، ومن ثم تجنب الدخول في صراع مع المرسل إليه. بيد أنَّ المشكلة التي ستثار في هذه الحال هي أنَّ استعمال الأسئلة التذييلية قد يعطي انطباعًا للمتلقي بأنَّ المتكلم ضعيف وليس واثقًا من نفسه، أو أنه يتطلع إلى المتلقي للتأكيد أو للمشاركة، حتى أنه ليس لديه آراء خاصة به. هذا النقد الأخير، بالطبع، غالبًا ما يكون موجهًا إلى النساء (Lakoff, 1975: 16–17؛ ميلز، 2016: 100). وهنا يتساءل المرء: إلى أي مدى يجسد ذلك الاستعمال طبيعة اللغة التي فُرضت على النساء منذ سنواتهن الأولى؟

وفي السياق نفسه تشير لاكوف الى ملحظ لغوي مثيل لسابقه من جوانب؛ غالباً ما نجده شائعاً في خطاب النساء، وهو يحمل دلالة التردد في الإجابة كما لو أنها كانت تسعى للحصول على تأكيد، على الرغم من أنها قد تكون الشخص الوحيد الذي عنده المعلومات المطلوبة للإجابة على سؤالٍ مثل:

أ- متى سيكون العشاء جاهزاً؟

ب- أوه . . . حوالي الساعة الثامنة. . .؟

وكأن (ب) كانت تقول "الساعة الثامنة، إذا كان هذا مناسبًا لك، أو إذا كنت موافقا". وفي هذه الحال فإن المتحدث (أ) سيكون في موقف الاضطرار إلى تقديم تأكيد لها؛ إذ تبدو (ب) غير متأكدة (Lakoff, 1975: 17).

إحدى النتائج المحتملة هي أنَّ هذه الأنواع من أنماط الكلام ينظر إليها في كثير من الأحيان على أنها سلوك واقعي يمثل الشخصية، وفي هذه الحال تكون سبباً في عدم أخذ المرأة على محمل الجد أو الوثوق بها في تحمل أي مسؤوليات؛ بالنظر الى أنها- من وجهة نظر المتلقي الرجل- لا تستطيع اتخاذ قرار بشأن أمر يتعلق بها، وهذا يجعلها في نظره غير واثقة من نفسها. وهنا نرى أن الناس يكوِّنون أحكامًا عن الآخرين على أساس السلوك اللغوي السطحي الذي قد لا يكون له علاقة بالشخصية الداخلية، بيد أنه تم فرضه على المتحدث منذ السنين الأولى (Lakoff, 1975: 17).

ربما تكون هذه السمات الأسلوبية جزءًا من النظرة العامة التي تقول إنَّ حديث النساء يبدو "مهذبًا" أكثر من حديث الرجال. وأحد جوانب التهذيب هو كما وصفناه للتو: ترك القرار مفتوحًا، وعدم فرض أفكارك أو آرائك على الآخر. ومن ثم، إنَّ سؤال التذييل هو نوع من السلوك المهذب، من حيث أنه لا يفرض الموافقة أو الاعتقاد على المرسل إليه. وقد يكون فعل الطلب- إذا ما أنجز بالأسلوب نفسه- أمرًا مهذبًا، من حيث أنه لا يتطلب طاعة صريحة، ولكنه يقترح شيئًا ما يتم فعله لصالح المتحدث (Lakoff, 1975: 18).

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

لهذه الأسباب يتم تعليم الفتيات الصغيرات بالفعل التحدث مثل السيدات الصغيرات، حيث أن حديثهن من نواحٍ كثيرة أكثر تهذيبًا من كلام الفتيان أو الرجال، والسبب في ذلك هو أن التهذيب ينطوي على عدم وجود ألفاظ وعبارات شديدة؛ فخطاب المرأة مبني على عدم استعمال أقوال شديدة بل يتسم باللين.

3 .ثالثا: كيفية التحدث عن النساء

جرى العرف العام في أغلب المجتمعات على أنَّ الحديث عن المرأة يقتضي جعل الكلام أكثر لطافة؛ بوصفها عنصر التهذيب في المجتمع، كأن نصف المرأة بكلمات مثل (السيدة، الآنسة، الشابة). لذلك نحن نخاطب المرأة غير المتزوجة بـ(يا آنسة).

ولكن هذه الألفاظ نفسها قد يستعملها الرجال أو النساء في بعض السياقات على سبيل المفارقة للسخرية من المرأة. مثل قولهم: استمع الى ما تقوله هذه السيدة الملحدة. أو استعمال وصف الشابة أو الآنسة للكبيرة في السن أو الثيب؛ من أجل السخرية منها؛ لما لموضوع العمر من أهمية بالغة عند النساء.

وقد تكون لفظة (فتاة) محببة الى النساء الصغيرات (المراهقات) بدلا من لفظة سيدة، على أساس أنها ما تزال صغيرة السن ومطمحاً لكل أمر جيد في المستقبل. بيد أنَّ لفظة (فتاة) نفسها قد تُستعمل في بعض السياقات للانتقاص من شخصية المرأة وقدراتها الذهنية من حيث دلالة تلك اللفظة على القصور في العمر، وهذا القصور قد يوقع صاحبه في العبث أو عدم النضج وانعدام المسؤولية. كأن يقال في سياق اللوم والعتب: كان ينبغي لك أن لا ترسل فتاة للقيام بمهمة امرأة؛ فهي لا تصلح لهذه المسألة. أو يقال: لم يكن مناسباً ارسال فتاة للقيام بمهمة الرجال. فقد يُقال هذا حتى وإن كانت المرأة ناضجة ولكن إرادة الانتقاص منها أفضى الى استعمال لفظة (فتاة) (Lakoff, 1975: 25).

أما لفظة (امرأة)، فهي الأخرى على الرغم من كونها تشير الى جنس المتحدث عنه أو حال النضج عنده؛ فإنَّ هذا الملحظ (الجنس أو النضج) قد يُتخذ في بعض السياقات للإشارة الى العبث الجنسي مع المرأة، كأن يقال:

أ- انها لم تتعدَ الثانية عشرة من عمرها، بيد أنها بالطبع امرأة.

سيدة

ب- بعد عشر سنوات في السجن، يسعى هاري الى العثور على امرأة.

سيدة

ج- انها امرأتي كما ترى؛ لذا لا تعبث معها.

سيدة

وكما نلحظ أن استعمال لفظة (سيدة) بدلا عن (امرأة) في تلك المقولات قد يزيل أو يخفف من وطأة الشبق الجنسي اتجاه المرأة (Lakoff, 1975: 26).

3.1. إشكال التحدث عن المرأة بوصفها عبثية

يجب أن تدفعنا الوقائع اللغوية السابقة عن كيان المرأة إلى التساؤل عن أحد أكثر الانتقادات شيوعًا لسلوك المرأة على خلاف الرجل، فغالبًا ما يسمع المرء أن المرأة عبثية وتتمحور حول الذات؛ إذ لا تهتم إلا بمظهرها وكيف ينظر إليها الآخرون.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

بيد أن لاكوف ترى أنَّ قليلاً من التفكير من شأنه أن يقنع أي شخص، في الواقع، أنَّ الرجال هم من يركزون على الذات وهم أنانيون أيضاً، أما غرور المرأة الظاهر فهو ليس كذلك على الإطلاق (Lakoff, 1975: 27).

وإذا ما التمسنا تفسيرا لسلوك المرأة السابق– بحسب لاكوف– فإننا نقول: تعتمد سمعة المرأة ومكانتها في المجتمع بشكل شبه كامل على الانطباع الذي تتركه عند الآخرين، فهي تفكر كيف ينظر إليها الآخرون. يجب أن ترتدي ملابس جميلة، وأن تبدو جذابة، وأن تكون مثالية، إذا ما أرادت أن تحتل مكانة بين الناس. ومن ثم إنَّ اهتمامها المفرط بالمظهر والمظاهر بما في ذلك، ربما، الحذر عن طريق الإفراط في تحري الصواب، والإفراط في الكلام من أجل استمرار التواصل مع الآخرين، واتباع آداب السلوك والمجاملات الكثيرة في الخطاب، هو في أغلبه مجرد نتيجة لإجبارها على الظهور بصورة تمثل تجسيداً لما في عيون الآخرين وأذهانهم عن شخصية المرأة (ميلز، 2016: 94، 100). وهذا يعني أنها لا تستطيع أن تفعل أي شيء نابع من نفسها أو لمجرد سعادتها الذاتية (Lakoff, 1975: 27). ومن المفارقات أن الطريقة الوحيدة التي يمكنها من خلالها زيادة راحتها وسعادتها وأمنها قد تكون من خلال تقدُّم زوجها في المراتب، ومن ثم لا يمكنها تحقيق وسائل الراحة المادية إلا من خلال جهود شخص آخر هو زوجها، فضلا عن عدم إمكان تحقيق استقلالها في هذا الجانب. فما يبدو من سلوكها أنه جهود تتمحور حول الذات هي في الواقع تستهدف آراء الآخرين ورضاهم، وما يبدو أنه جهود بذلتها لشخص آخر (زوجها) هو في الحقيقة الوحيد المسموح به نيابة عن المرأة. فلا عجب أن النساء يفتقرن إلى هوية ويشعرن أنه ليس لهن مكانة خاصة بهن (Lakoff, 1975: 27؛ برهومة، 2002: 79).

بهذه الأسباب تعلل لاكوف عدم نجاح النساء بصورة مطردة في الأعمال أو السياسة على مستوى يوازي نجاحات الرجال في هذه المجالات، في حين يمكن أن يكون كل ما يدعى (غرور وغرابة) في سلوكها هو علامات تمييز لها بدلاً من كونها هدفًا للازدراء والسخرية.

ومن الناحية الاجتماعية، ربما يكون من الواضح إلى حد ما أن المرأة في أغلب الثقافات الفرعية في مجتمعنا لا تحقق مكانة إلا عن طريق منصب والدها أو زوجها أو أخيها أو ابنها. واللافت للنظر أنَّ هذه الحقائق تظهر لغويًا بطرق غير واضحة. فلو سمعنا وصفاً على النحو الآتي:

1- إنَّه محترف
2- إنَّها محترفة

فإنَّ ما يتبادر الى ذهن المتلقي هو أن المتحَدَّث عنه في الجملة الأولى غالبا ما يكون عالماً أو طبيباً أو محامياً أو حاذقاً في مجال ما على الصعيد الايجابي. أما المثال الثاني فهو– في كثير من الأحيان– يُستعمل في الإشارة الى أنَّ المتحدَّث عنها لها إمكانية عالية في جذب الرجال واغوائهم وتقديم المتعة الجنسية لهم (Lakoff, 1975: 30؛ خرما، 1978: 196).

وفي المناسبات الاجتماعية، كثيراً ما يُفتتح الحديث مع المرأة بسؤال: ما وظيفة زوجك؟ أو أين يعمل زوجك؟ في حين لا يبدأ الحديث مع الرجل بسؤال مثل: أين تعمل زوجتك؟ وما وظيفتها؟ ونادرا ما يُسأل مثل هذه الأسئلة. فإن سُئل مثل ذلك قد يجيب عن هذه الأسئلة بطريقة ساخرة بقوله: إنها زوجتي، هذا ما تفعله (Lakoff, 1975: 27؛ ميلز، 2016: 111).

فضلا عما تقدم فقد وجدت لاكوف في عينات بحثها أنَّ هناك ألفاظاً تُستعمل وصفاً للمرأة بطريقة تعسفية على الرغم من أنها قد يتساوى فيها الرجال والنساء، ومنها لفظة (ذكي) فهي غالبا ما تُستعمَل وصفاً للرجال، وقليلاً ما تطلق صفة للنساء؛ إلا إذا أريد الإشارة الى إمكاناتها في تدبير المنزل أو في الطبخ (Lakoff, 1975: 32).

ومن الألفاظ الأخرَ لفظتا (العانس، والأعزب) كلاهما يشير الى الشخص غير المتزوج، بيد أن استعمال الأولى غالبا ما يكون في سياقات يراد بها الإساءة الى المرأة على أساس أنها لم يرغب بها أحد ما للزواج لعلة فيها، في حين تُستعمل الثانية بصورة خالية من ذلك. وقد تُستعمل في سياقات يُراد بها تأييد موقف العازب من حيث أنه آثر الابتعاد عن أذى النساء. فالأعزب تمت ملاحقته ونجح في التملص من ملاحقيه. لكن العانس هي من لم تتم ملاحقتها، أو على الأقل ليس بجدية؛ لأنها بمثابة سلعة قديمة غير مرغوب فيها (Lakoff, 1975: 32–33).

يبدو أن سبب هذا التمييز موجود في النقطة التي تم توضيحها سابقًا وهي: إنَّ النساء يتم منحهن هوياتهن في مجتمعنا بحكم علاقتهن بالرجال، وليس الأمر خلاف ذلك.

4 .رابعاً: مراحل تطور نظرية التهذيب عند روبن لاكوف

4.1. تبلور مبدأ التهذيب عند لاكوف

عندما شرع فلاسفة أكسفورد بدراسة المشكلات التي تتجلى في اللغة الاعتيادية (لغة التواصل اليومي) بين الناس، كانوا قد فتحوا الباب رويدا أمام الدارسين من اللسانيين؛ ليلقوا الضوء على جوانب من تلك المشكلات التي ينبثق أغلبها من غموض معنى الكلام في سياق تواصلي معين ووضوحه في سياق آخر. فأدركوا حينها أن العوامل الرئيسة التي تتحكم في ذلك هي عوامل خارج بنية اللغة نفسها، فراحوا يقتفون أثرها، حتى وجدوا ضالتهم في معايير اجتماعية يخضع لها انجاز المعنى من حيث الوضوح والغموض بنسب مختلفة يتحكم فيها السياق التواصلي الآني بكل عناصره. من هنا أصبحت المؤثرات الاجتماعية لها سطوة مركزية في تحديد معنى الكلام في العملية التواصلية، فتوالت الدراسات التداولية في هذا المجال تنحو باتجاه هدف واحد ولكن بمناهج مختلفة، ونتج عن ذلك نظريات تداولية مختلفة حاول بعض الدارسين أن يحصروها في ثلاثة اتجاهات هي (التداولية الخطية، والتداولية المعرفية، والتداولية المدمجة). وكان من جملة التطور الذي شهدته اللسانيات التداولية في سبعينيات القرن العشرين ظهور مجموعة من المبادئ التداولية التي ينبغي مراعاة قواعدها في التواصل متأثرة بقواعد غرايس في الاستلزام الحواري، ومنها (مبدأ التهذيب) في الحوار؛ ففي عام 1973م ظهر مقال للغوية الأمريكية لاكوف بعنوان (منطق التهذيب)، سعت فيه الى تقديم معايير تداولية جديدة نفهم عن طريقها صواب التعبيرات اللغوية من عدم صوابها على صعيد التهذيب في التواصل؛ وذلك بلحاظ معناها الاجتماعي المتداول عن طريق ما يسمى بـ(الافتراض التداولي) عند المتكلم الذي يتيح له استعمال فعل ما في قولة بصيغة معينة يقتضيها سياق تواصلي بعينه بدلا عن الصيغ الأخرى التي لا يمكن أو ليس من الصواب استعمالها في السياق التواصلي نفسه.

ولا بد من الإشارة هنا الى أنَّ الافتراض التداولي عند لاكوف مصطلح يشير الى الجانب الذهني عند المتكلم فحسب، ومن ثم يتجلى في خطابه المنجز ماديا، وليس للمتلقي شأن فيه، على الرغم من أنَّ المتلقي من الممكن أن يخمن الافتراض التداولي الذي بنى المتكلم خطابه عليه عن طريق الملكة الاستدلالية والسنن الثقافية المتعارفة في صياغة أنماط من الخطاب

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

في مجتمع معين؛ فهي من العناصر المشتركة بين أطراف الخطاب، ومن شأنها أن تمكن كليهما من تبادل الأدوار في اثناء الحوار، فيصبح المتكلم متلقيا ويصبح المتلقي متكلما، بصرف النظر عمن بدأ الحوار ومن تلقاه أولا. ولكي تؤكد هذا الفهم ذهبت لاكوف الى أن المتكلم يبني خطابه على ثلاث قواعد افتراضية (ذهنية) هي (Lakoff, 1973: 293):

1- افتراض يبنى على (القياس والمقارنة). أما القياس فيتجلى في التماس شعور المخاطبين نحوه. وأما المقارنة فتتم عن طريق معرفة منزلته أو رتبته الاجتماعية من مخاطبيه ومراعاة ذلك.

2- افتراض يبنى على (قيمة الخطاب)، من حيث المعلومات التي يسعى المتكلم الى مشاركة الآخرين فيها، ومراعاة ما يقتضيه الموقف التواصلي من طبيعة رسمية في التبليغ، أو عدم الرسمية، وهل هو جاد في تبليغها الى الآخرين؟ ومدى نسبة الجدية أو الرسمية من عدمها في خطابه.

3- افتراض يبنى على (قراراته)، ويأخذ بحسابه الأهداف المبتغاة من وراء التواصل في الافتراضين السابقين، هل يسعى المتكلم الى ترسيخ اختلاف المكانة الاجتماعية بينه وبين مخاطبيه، أم يسعى الى تقليل المسافة بينهما الى درجة اضمحلالها؟ وقد يسعى الى إحداث تأثير في مخاطبيه يفضي الى تغيير العالم من حولهم. قد يتملق مخاطبه من أجل ذلك، وقد يضمر كثيرا مما هو واقعي ومهم من المعلومات. بيد أن اتخاذ مثل هذه القرارات قد لا تعني المتكلم في سياق معين حتى وإن كانت مبنية على افتراضاته التداولية، إذ بإمكانه أن يتجاوز افتراضاته تلك وينجز ما يقتضيه المقدار الأدنى أو المعتاد في التواصل فحسب.

فقولة مثل: لو سمحت، ناولني قدحاً من الماء.

قد تحمل في طياتها مقداراً من التعقيد كفيلاً بأن يفضي الى فقدان مسبار القواعد اللازمة في التداول الاجتماعي؛ لأن هذا النوع من القولات يضم في حناياه ضربين من الخطاب، أحدهما رئيس وهو (ناولني قدحاً من الماء)، والآخر ثانوي هو (لو سمحت).

فالمعروف عند الدارسين أن معايير التخاطب في أغلب المجتمعات تعزو اجتماع هذين الضربين من الخطاب في هذه القولة الى تفسير مفاده:

1- إنَّ المتكلم أدنى مرتبة اجتماعية من المتلقي.

2- قد يكون المتكلم بمستوى مرتبة المتلقي، ولكن العلاقة بينهما لا تسمح بعدم استعمال الخطاب الثانوي في مثل هذه القولة.

ولكن التعقيد والغموض في هذه القولة ينشأ عندما يكون المتكلم أعلى مرتبة اجتماعية من المتلقي. والسؤال هنا: إذا كان المتكلم- بحكم مرتبته- قادراً على أن يستعمل استراتيجية واضحة مباشرة في انجاز الأمر من دون خطاب ثانوي يلطِّف به الأمر، لماذا إذًا يستعمل خطاب التلطيف هنا؟

حاولت لاكوف أن تقدم تفسيراً لمثل هذه الحال في الخطاب بأن قالت إنَّ المتكلم يريد أن يظهر تهذيبه للمتلقي حتى وإن كان أدنى منه مكانة اجتماعية أو مؤسساتية، كالضابط وجنوده، والمدير وموظفيه.

أما موقف المتلقي في الحالين فهو مختلف؛ ففي الحال الأولى يكون له الخيار في الرفض أو الاستجابة للطلب. وأما في الحال الثانية فليس ثمة خيار، بل هو ملزم بالاستجابة فقط مالم يكن له عذر يسوِّغ له الامتناع.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

وفي سبيل تجنب التعقيد والغموض في بيان القصد من هذا الضرب من القولات، دعت لاكوف الى اعتماد قواعد تداولية توضح جودة صياغة الخطاب من عدم جودتها؛ وكان اسهامها في هذا الجانب يمثل خطوة جديدة نحو نظريتها في التهذيب بأن وضعت قاعدتين للمتكلم سمتهما قواعد الكفاية التداولية هما (Lakoff, 1973: 296):

أ- كن واضحاً

ب- كن مؤدباً

وفي ظل هاتين القاعدتين ((قد يسعى المرسل جاهداً ليكون واضحاً، عندما يكون هدفه الرئيس هو التواصل المباشر مع الآخرين، بما يجعل قصده واضحاً، لا يخطئه المرسَل إليه. في حين تتخذ قاعدة التأدب حضورا أكبر، عندما يكون هدف المرسل هو التعبير عما يكنه للمرسل إليه الذي يشاركه الخطاب. على الرغم من أن الوضوح يعد، في بعض الأحيان، من ضروب التأدب مع المرسَل إليه)) (الشهري، 2004: 100). وقد يتبادر الى الذهن سؤال عن مدى إمكانية المتكلم الالتزام بهاتين القاعدتين في حواره؟ فثمة سياقات تواصلية تقتضي أن لا يكون المتكلم واضحا، أو أن لا يكون مؤدباً، ولكنه على الرغم من ذلك ينجز المتكلم مقاصده على أتم وجه ويوصلها الى المتلقي. وقد يكون التزامه قاعدة منهما يناقض القاعدة الثانية أو يحول دون التزامه بها؛ فالتهذيب في الخطاب قد يمنعه من أن يكون واضحاً مع المتلقي، وعلى النقيض من ذلك قد يكون التزامه الوضوح مع المتلقي على حساب تهذيبه معه. وإذا ما تحقق ذلك لا بد من أن يوصف خطابه بالجودة على الرغم من مخالفته قاعدتي لاكوف التداولية.

4.2. تجلي قواعد لاكوف في التهذيب

يبدو أن لاكوف أدركت ذلك القصور في قواعدها السابقة؛ فسعت الى تدارك ما فاتها بأن وضعت ثلاث قواعد أخرى للتخاطب مستلة من مبدأ التعاون عند غرايس على الرغم من أنها وجهت نقدها لقواعد غرايس التعاونية؛ ولذلك عمدت الى إضافة قواعد الى مبدأ التعاون في التخاطب من باب التهذيب، فاتسم المبدأ التخاطبي عندها بـ(مبدأ التهذيب) وضم في طياته ثلاث قواعد اصطلحت عليها بقواعد التهذيب التي ينبغي للمتكلم مراعاتها في صياغة خطابه، وقد ظهرت هذه القواعد أول الأمر على النحو الآتي (Lakoff, 1973: 298):

1- لا تفرض رأيك على الآخر (المتلقي).
2- امنح المتلقي فسحة من حرية التفكير والاختيار إزاء ما يلقي إليه من خطاب.
3- ولِّد عند المتلقي شعورا بالراحة، بأن تكون صديقاً له.

وفي خطوة أكثر تطوراً من سابقتها طوَّرت لاكوف تلك القواعد؛ فأصبحت تحمل ثلاثة مصطلحات هي (Lakoff, 1975: 68; Leech, 2014: 33):

1- قاعدة اللياقة. ينبغي للمتكلم بحسب هذه القاعدة أن لا يفرض نفسه على المتلقي وأن لا يكون ثقيلا في خطابه.
2- قاعدة الاحترام. وتقتضي أن يتيح المتكلم لمخاطبه الخيار في أن يقرر بنفسه.
3- قاعدة اظهار المودة. وبحسب هذه القاعدة ينبغي للمتكلم أن يشعر المتلقي بالألفة والمودة نحوه.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

تقتضي قاعدة اللياقة عند لاكوف ان يحافظ المتكلم على مسافة من حدود التخاطب بينه وبين المخاطب؛ فلا يستعمل مثلا صيغ الطلب بطريقة مباشرة. وإذا ما أراد السؤال عن أمر شخصي عند الآخر لابد له من الاستئذان أولا، وقد يكون الاستئذان مصحوبا بمسوغ أو مسوغات (عبد الرحمن، 2006: 241).

أما قاعدة الاحترام فتقوم على أساس أن المتكلم يعي ضرورة الابتعاد عن إبداء رأيه بصيغ تنم على المعرفة القطعية؛ بل لا بد له من أن يظهر شيئاً من عدم التأكد والقطع؛ فيستعمل صيغة الاستفهام عن أمر ما بدلاً من إخبار المخاطب به؛ لأن الأول يجذبه نحو الخطاب، والآخر يقصيه ويعزله، فلا يتيح له المجال بأن يبدي رأيه، ويغدو متحفظاً.

نحو قولنا: قد يكون من المفيد الإحاطة بما في هذا الكتاب من معلومات. بدلا من قولنا: لابد لك من قراءة هذا الكتاب والاحاطة بما فيه (عبد الرحمن، 2006: 241).

وتقتضي القاعدة الثالثة أن يُشعِر المتكلم مخاطبه بأنه مساوٍ له في المرتبة إن كان المتكلم أعلى من مخاطبه مرتبة. ويتم ذلك عن طريق استراتيجيات لغوية، منها استعمال الضمائر الشخصية، والاسم المباشر، والكنية، واللقب (عبد الرحمن، 2006: 241).

وترى لاكوف أنَّ تلك القواعد ذات طابع نظري يتسم بالكلية (العالمية)، ومن ثم هو يصدق على اللغات كافة إذا ما طبقت تلك القواعد في دراستها. بيد أن الاختلاف بين الثقافات قد يركز على أحدها في ثقافة ما على حساب القاعدتين الأخريين. ولكي تعطي مصداقا تطبيقيا على ذلك تضرب مثالا لنمط الاختلاف في قواعد التهذيب التي قدمتها بين الثقافتين الأمريكية والصينية، فتقول إنذَ شخصاً ما إذا تجشأ في مكان عام بعد تناوله وجبة طعام فإنَّ ذلك يُعد أمراً غير مقبول في المجتمع الأمريكي. في حين ينظر المجتمع الصيني التقليدي الى هذه الحال على أنها من السلوكات المهذبة للقيام بها في الأماكن العامة.

ثم تتساءل: هل بإمكان قواعدنا أن تقدم تفسيراً لاختلاف رؤية الثقافتين لمثل هذه الحالات (Lakoff, 1975: 68)؟

تجيب بأنها قادرة إذا ما أخذت بعين النظر الاختلاف الثقافي في التهذيب بين ثقافة وأخرى، بين مجتمع وآخر، فالمجتمع الصيني لم يخالف القواعد؛ بل طبقها من حيث أن ثقافته تقبل هذا الأمر؛ ومن ثم إنَّ الشخص المتجشئ لم يخالف قواعد التهذيب في المجتمع الصيني التقليدي. في حين أنَّ الشخص نفسه يكون قد خالف قواعد التهذيب في المجتمع الأمريكي إذا ما تجشَّأ في مكان عام. ومن ثم تكون القواعد هي المائز للسلوك إذا ما كان مهذباً أم غير مهذب؛ ذلك بأن القواعد ثابتة والثقافات مختلفة (Lakoff, 1975: 69).

ومهما يكن الأمر فقد واجهت قواعد لاكوف نقداً علمياً؛ لأن القواعد تتفاوت من حيث القوة، وقد يفضي الالتزام بأحدها تعذر اتباع الأخرى (عبد الرحمن، 2006: 242)، ومن ثم إنَّ تلك القواعد قد تصلح لسياق تواصلي ولا تصلح لسياق آخر.

5. خامساً: النساء والتهذيب

غالبًا ما تدور الحجة حول مفاهيم "التهذيب" التي تعلمناها جميعاً حينما كنا أطفالاً على أنَّ كلام المرأة يختلف عن الرجل من حيث أنَّ النساء أكثر تهذيبا، وهذا هو بالضبط ما ينبغي أن يكون؛ لأن المرأة هي المضطلعة بتربية الأطفال في المقام الأول، ومن ثم هي العنصر المحافظ على الأخلاق والكياسة في المجتمع؛ لذا نحن نتحدث عن النساء في المقابل بطريقة

مَجَلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
لِلعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

مهذبة، فتتجنب الجوانب السيئة في لغة الرجال ولاسيما الابتعاد عن الألفاظ العامية الرديئة، والكلمات البذيئة، والعبارات المبطنة (ترادجل، 2017: 83).

وفي هذا السياق تشير لاكوف الى الازدواجية الاجتماعية أو المصيدة التي نصبها المجتمع للمرأة حينما جعل من لغتها هي تحديدا معياراً للأخلاق؛ فهي ترى أن ذلك مخالف للفطرة الطبيعية التي جُبِل الانسان عليها من حيث تدرجه نحو النضج، وفي مسيرته تلك حتما أنه سوف يخطئ ويصيب، ومن ثم إنَّ المرأة شأنها شأن الرجل مخلوق طبيعي معرض لارتكاب الخطأ والصواب في سلوكاته ولاسيما (الكلام)؛ لذا إن نظرة المجتمع الى المرأة بأنها ينبغي أن لا تخطئ هو أمر فيه تقييد وتمييز عنصري؛ لأنَّ الرجل من الممكن أن يضطلع بذلك الدور، ولاسيما أنه العنصر المهيمن في أغلب المجتمعات. فلِمَ تُحمَّل المرأة منذ نشأتها ما لا طاقة لها باحتماله وتبقى تعاني تحت وطأته (Lakoff, 1975: 73–74).

وفي ضوء ما تقدم تلفت لاكوف انتباهنا الى اختلاف أنواع التهذيب من سياق الى آخر ومن مجتمع الى مجتمع آخر. فبعض أنواع التهذيب لغوية، وبعضها غير لغوي بحت، وكثير منها مختلط؛ بعضها مهذب في أماكن معينة، ومحايد أو وقح في أماكن أخرى؛ لذا نجد بعضها مهذباً في بعض المجتمعات وفظاً في بعضها الآخر. وأخيرًا، يكون بعضها مهذبًا في بعض المجتمعات في مرحلة ما من العلاقة بين الأشخاص، لكنها فظة في مجتمع آخر في مرحلة موازية من العلاقة، وربما تتسم بالتهذيب في المجتمع الأخير في مرحلة مختلفة من العلاقة.

وبناءً على ما نوقش سابقاً من موضوعات وظواهر وشواهد تخلص لاكوف الى أن تهذيب المرأة هو أساساً من نوع قاعدة (اللياقة) فضلا عن قاعدة (الاحترام أو التخيير)، وهو ما يؤسس المسافة ويعززها بناء على السلوكات المراعية للآخر مع التعهد بالتعبير اللطيف والاستعمال اللغوي المتحري للصواب والتهذيب جهد الإمكان؛ لذا تتجنب لغة النساء دوال الصداقة الحميمة مثل قول النكات، واطلاق الألقاب، واستعمال العامية البذيئة، وما إلى ذلك في كثير من المجموعات النسائية في المجتمع (Lakoff, 1975: 79).

لقد تركت قواعد لاكوف في التهذيب أثراً واضحاً في الرؤية التي قدمها براون وليفنسون فيما بعد في مجال تهذيب الحوار؛ وقد تجلى ذلك بوضح في صياغتهما مصطلحي التهذيب السلبي والتهذيب الإيجابي، فعلى الرغم من الاستراتيجيات الكثيرة التي ذكرها الباحثان بوصفها تقيض السبيل أمام اعتماد ضربي التهذيب بما يتناسب وسياقات الحوار (Brown & Levinson, 1987: 101, 129)؛ فإنَّ قواعد لاكوف بدا أثرها واضحاً في تلك الاستراتيجيات؛ إذ تشير القاعدتان الأولى والثانية الى طرق التهذيب السلبي، في حين تشير القاعدة الثالثة الى طرق التهذيب الإيجابي (Jane, 2004: 152).

خاتمة

1. تُعَد مشكلة الهيمنة الذكورية ذات طابع تاريخي وليس خلقياً؛ ذلك بأنَّ الممارسات العنصرية المتراكمة عبر العصور من جانب الرجال ضد النساء هي التي ولَّدت تلك المشكلة وجعلتها ذات طابع مستشرٍ تصعب معالجته، فضلا عن استحالة القضاء عليه.
2. تختلف مظاهر الهيمنة الذكورية من مجتمع الى آخر؛ تبعاً للسبل التي تقيض لها الطريق نحو الظهور علناً والممارسة بقوة، في حين قد تبدو غائبة في مجتمع آخر إذا ما غابت أو ضعفت تلك السبل. بيد أنَّ ممارسة تلك الهيمنة لا تنتهي مطلقاً، بل تتخذ حالاً من السبات والكمون استعداداً الى من يهيئ لها سبل الممارسة.

3. كثيراً ما تكون طرق التنشئة المخطوءة في المجتمعات سبباً في ممارسة التحيز الجنسي ضد المرأة، وهو أمر سيجعل المرأة تابعاً للرجل وليس شريكاً له في الحياة.
4. إن إتاحة ضرب من سبل التعبير أمام أحد الجنسين في أثناء النشأة الأولى وحجبها عن الآخر، من الممكن أن يخلف آثاراً في شخصيتيهما في المستقبل، وقد تصل بهما تلك الآثار الى أن يكونا على طرفي نقيض أو في صراع دائم.
5. خلصت الدراسة الى وجود اختلافات بين خطاب المرأة وخطاب الرجل منشؤها الصورة النمطية المتوارثة عن وجود فروق وهمية بين الذكور والإناث في جوانب معينة لا تصمد أمام النقد العلمي، ولاسيما قضية الاختلاف البيولوجي بينهما الذي حولته كثير من المجتمعات الى اختلاف اجتماعي على أساس ثنائية العنصر المسيطر الذي هو الرجل والعنصر المسيطر عليه متمثلا بالمرأة.
6. في كثير من الحوارات يُفهم مبدأ الاحترام التداولي في خطاب المرأة القائم على إتاحة الفرصة أمام المخاطب لمشاركتها الحوار بأنَّه ضعف في شخصيتها. وما هو كذلك، بل هو من أظهر قواعد التهذيب في خطابها.
7. تمثل الألفاظ والتراكيب التي تصف المرأة على نحو مهذب سلاحاً ذا حدين، ولاسيما في المجتمعات التي يمارس فيها التحيز الجنسي ضد المرأة؛ إذ تُستعمل تلك الألفاظ والتراكيب على نحو المفارقة الساخرة للنيل من مكانة المرأة، ولاسيما الألفاظ (السيدة، والآنسة، والفتاة)، فضلا عن الصفات المشتركة بين الذكور والإناث، مثل صفتي (الذكاء والاحتراف).
8. قد تضطر المرأة في كثير من المجتمعات الى التخلي عن هويتها التي تمثل ذاتها على صعيد ممارسة سلوكاتها التي من شأنها أن تحقق طموحاتها الشخصية أو إرادتها الفردية. وتستعيض عنها بهوية زوجها أو أبيها أو أخيها أو ابنها؛ فتصبح تابعة له في جوانب كثيرة، ومن ثم تكون ذات مكانة متميزة بين أفراد مجتمعها إذا ما كان الرجل التابعة له ذا مكانة، وإلا فلا.
9. يبدو أنَّ العلاقة بين التهذيب والمرأة علاقة اعتباطية وليست قصدية نابعة من أساس خلقي (بيولوجي)؛ فالمرأة شأنها شأن الرجل عنصر في المجتمع يتفاعل مع أقرانه ومع عناصر المحيط من حوله فيصيب ويخطئ، وكذلك الرجل. ومن ثم ليس هناك مندوحة للمجتمعات التي تتخذ من سلوك المرأة معياراً للتهذيب الاجتماعي، وإذا ما أخطأت وُسِمت بكل الصفات المهينة التي تحط من مكانتها. في حين أنَّ من الممكن أن يضطلع الرجل بذلك؛ فيغدو سلوكه محور التهذيب في مجتمعه.
10. على الرغم من أن لاكوف ترى أنَّ قواعدها في التهذيب ذات نزعة تصلح أن تكون قواعد عالمية للتهذيب؛ فإنَّ مبدأ النسبية واضح فيها، ولاسيما في حديثها عن أنواع التهذيب واختلافها من مكان الى آخر ومن سياق الى سياق آخر.

المصادر

[1] Brown & Levinson, 1987. politeness some universals in language usages. Cambridge university press, new York.

[2] Jane. Holmes, 2004. Power, lady, and linguistic politeness in language and woman's place. In language and woman's place text and commentaries. OXFORD

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجَلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

UNIVERSITY PRESS. Oxford New York, P. 151- 157.

[3] Lakoff, T. Robin (1973). The logic of politeness: or minding your p´s and q´s. Papers from the NINTH REGIONAL MEETING OF THE CHICAGO LINGUISTIC SOCIETY, p. 292-305. Volume 9 Capítulo 5

[4] Lakoff, T. Robin, 1975. language and woman's place, New York: Harper & Row.

[5] Leech, Geoffrey, 2014. the pragmatics of politeness. Published in the United States of America by Oxford University Press 198 Madison Avenue, New York, NY 10016.

[6] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط1، 2004م.

[7] أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، عالم المعرفة- الكويت، 1978م، د.ط.

[8] الاعلام والصورة النمطية- صورة العرب والمسلمين نموذجا، أ. علي خليل شقرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 2015م.

[9] الخطاب، سارة ميلز، ترجمة عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط1، 2016م.

[10] السوسيولسانيات- مدخل الى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، بيتر ترادجل، ترجمة محمد كرم الدكالي، أفريقيا الشرق، المغرب، 1017م، د.ط.

[11] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركو الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط2، 2006م.

[12] اللغة واختلاف الجنسين، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، ط1، 1996م.

[13] اللغة والجنس- حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، د. عيسى برهومة، دار الشروق- عمان، ط1، 2002م.

[14] المرأة واللغة، د. عبد الله محمد الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط2، 1997م.

[15] مقياس القوالب النمطية الجامدة حول المرأة، د. عبد اللطيف محمد خليفة، دار غريب، القاهرة- مصر، 2006م، د.ط.

[16] الهيمنة الذكورية، بيار بورديو، ترجمة: د. سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ط1، 2009م.

العدد الاول - حزيران - 2022 / June